مجلة المورث مجلد: 01عدد: 02السنة 2019
ISSN:2710-8503 ص91-114

القيم العائلية في المجتمع الجزائري المعاصر بين الثابت والمتحول

قرءاة سوسيوثقافية

Family values in contemporary Algerian society, between the constant and the transformed Read sociocultural

د. حسان بوسرسوب[1]

[1] جامعة محمد الأمين دباغين،جامعة سطيف 02 (الجزائر)

البريد الإلكتروني bochra_1978@yahoo.fr

تاريخ الإرسال:2019/09/13	تاريخ القبول:2019.10.18	تاريخ النشر 2019/11/30

ملخص البحث

يعتبر مفهوم القيم في العلوم الاجتماعية من أكثر السمات تأثرا بالإطار الثقافي والاجتماعي ، فلكل مجتمع نسقه القيمي، الخاص حيث يتغير هذا النسق تبعا لما يحصل في هذا المجتمع من تغيرات وتحولات، والعائلة الجزائرية على غرار الأسر والعائلات البشرية الأخرى، لديها أنساقها القيمية الخاصة بها. حيث عرفت هي الأخرى العديد من التغيرات الاجتماعية والاقتصادية بوتيرة سريعة أثرت على كيانها الاجتماعي والاقتصادي، مما جعل نسق القيم بدوره يتأثر بهذا التغير فشهدت تغيرا من ناحية دور القيم ومكانتها كضابط من الضوابط الاجتماعية، وكذا من ناحية ظهور قيم جديدة دخيلة على العائلة الجزائرية، وضمن هذه الورقة البحثية نحاول إبراز أهم التغيرات التي عرفتها العائلة الجزائرية والتي كان لها دور في تغير منظومة القيم وظهور قيم جديدة وتراجع دور قيم تقليدية ،وهو ما ينطوي ضمن نسق الرابط الاجتماعي على مستوى الأسرة في المجتمع الجزائري.

كلمات مفتاحية: القيم، التغير القيمي، العائلة، المجتمع الجزائري المعاصر، الثابت والمتحول .

Summary:

The concept of values in the social sciences is considered one of the most influenced features of the cultural and social framework. Each society has its own value system whereby this pattern changes according to the changes and transformations that take place in this society. The Algerian family, like other families and human families, has its own values of values. Where she also knew many social and economic changes at a rapid pace that affected her social and economic entity, which made the pattern of values in turn affected

المرسل: bochra_1978@yahoo.fr

by this change, and she witnessed a change in terms of the role of values and her position as an officer of social controls, as well as in terms of the emergence of new values that are alien to the Algerian family, and within this paper Research We are trying to highlight the most important changes that the Algerian family has experienced, which have had a role in changing the value system, the emergence of new values and the decline of the role of traditional values, which implies within the pattern of social bonding at the family level in Algerian society.

Key words: *values, value change, family, Algerian society, contemporary, stable and transformative*

مقدمة:

لا شك أننا في عالمنا الحديث نعيش صراعا قيميا حقيقيا بين قيم العالم الجديد (العولمة) وبين القيم الخاصة للعديد من الثقافات والشعوب، ومن الطبيعي أن يدور هذا الصراع عبر محطات التاريخ الإنساني، حيث تفنى حضارات وتقوم على أنقاضها حضارات أخرى، ومن خلال هذا التبادل والتداول الحضاري للثقافات والحضارات بتحقيق التطور الطبيعي من الرصيد التراكمي الإنساني من القيم والثقافة والمعرفة.

بيد أنّ الأمر قد تغير في ظل ما يعرف بعصر ثقافة العولمة حيث تبدلت المفاهيم الإنسانية من التعاون والتراكم الحضاري الإنساني إلى الصراع ، ومن التمازج إلى الإقصاء والانفراد، ومن احترام الآخر والمحافظة على خصوصيته وثوابته إلى العمل على تذويبه ودمجه في ثقافة الطرف الآخر الأقوى، ويمكن تجسيد ملامح هذا الجدل خاصة على مستوى العائلة باعتبارها الوحدة الأساسية والأولى للبناء الاجتماعي، فهي تؤثر وتتأثر بالمجتمع، كما تختلف هذه الأخيرة من مجتمع إلى آخر بحسب الخصوصية الاجتماعية والثقافية لديه، فخصوصية المجتمع الجزائري ومراحل تطوره تختلف عن خصوصية المجتمعات الأخرى، والاختلاف هنا قد يرجع إلى البنية، المركز، الأدوار والعلاقات بما فيها علاقة الزواج وقيمه.

إنّ هذا الوضع أسس لجدلية خاصة في الأسرة الجزائرية قوامها إقدام وإحجام حول مدى التمسك بالقيم الأصيلة ذات المرجعية الثقافية الأصيلة التي تشكلها عادات وتقاليد الأسرة التقليدية (الممتدة)، أو مسايرة الواقع والقيم الحديثة العصرية التي تمثلها الأسرة النواة.

وتجدر الإشارة هنا إلى أن المتتبع لحركية القيم في الحياة الإنسانية يدرك حتما أنها ترتبط بالمسار التاريخي لأي مجتمع من المجتمعات والذي يحمل في طياته عوامل وأسباب تتعلق أساسا بثنائية القيم والمجتمع على اعتبار أنه لا وجود لمنظومة قيمية خارج المجتمع كما أنه لا يوجد مجتمع دونها وهذا في حد ذاته يعد مدخلا لفهم أهمية القيم كمصدر للضبط والمعايير بالنسبة للفرد وكذلك الجماعة فالمجتمع كما يتيح لنا ذلك الوقوف على عناصر ذات أبعاد مهمة كتصنيف القيم وما ينطوي عليه من محددات وأيضا مصادرها كنوع من التأسيس لقوته وحضورها في الحياة الاجتماعية وصولا إلى تحديد طبيعتها التي تختلف عن كثير من المفاهيم المقاربة لها وهذا ما نتوصل إليه بعد استظهار أهم خصائصها وهو نوع من إثبات كينونة القيم ضمن ما سيأتي عرضه ،إنّ هذه الرؤية المتنوعة لموضوع مسألة القيم تعد بالنسبة لنا كمحاولة لقراءة ورؤية سوسيولوجية ما يتضمنه الجانب النظري للقيم بصفة عامة والذي يوصف عادة بأنه مزدحم.

وانطلاقا من هنا ارتأى الباحث مقاربة هذه الإشكالية التي أضحت جلية وظاهرة في المجتمع الجزائري وقد تؤثر إلى حد بعيد على الأسرة وأدوارها جرّاء ما ينتابها من صراع داخلي وخارجي وعوائق في التفاعل والتوافق مع البيئة الاجتماعية دائمة التغير.

حيث امتدت آثار هذا التغير في شكل وبنية العائلة إلى كل فئات المجتمع الجزائري،فتغيرت ومن هذا المنظور يمكننا القول بأنّ هذه المطارحة تدعونا إلى القول بأنّ العائلة الجزائرية تقوم على منظومة قيمية يتبناها الفرد والمجتمع، وهي المكون الأساسي للإيديولوجية المحركة لأفكار وأقوال وأفعال الفرد والمجتمع، كما أنها المكون الأساسي لشخصيته. و تأتي هذه الورقة كمحاولة للتطرق لإشكالية تغير القيم داخل العائلة الجزائرية ومما تقدم تظهر أهمية دراسة موضوع القيم داخل العائلة الجزائرية في المجتمع الجزائري، وعليه **يمكن صياغة إشكالية هذه الدراسة في التساؤلات التالية:** ماذا نعني بمفهوم القيم ؟ وما هي طبيعة التغير التي لامست منظومة القيم في المجتمع عامة و الأسرة على

وجه الخصوص؟ وكيف يمكن تفسير عوامل التغير القيمي داخل الأسرة الجزائرية؟ وفيما يتمثل الدور الذي تلعبه القيم في المحافظة على المكون السوسيوثقافي بصفة شاملة؟

أولا: أهمية وأهداف الدراسة :

تنبع أهمية الورقة البحثية الحالية من أهمية الظاهرة التي تتناولها، وخاصة في التعرف على مفهوم التغير القيمي داخل الأسرة في الآونة الأخيرة ، أو بعبارة أخرى في الفترة الراهنة وتتمثل فيما يلي:

1 – إبراز الدور الذي تلعبه القيم في المحافظة على المكون الاجتماعي بصفة شاملة وخاصة إذا وجهنا ذلك وخصصنا مجالات العلاقات المحددة في إطار النسق الأسري العائلة .

2 – كما أنّ موضوع كهذا يمكن أن يسهم ولو بالقليل في محاولات ترسيم ودراسة القيم في المجتمع والتي تحتاج إلى مجهودات علمية متكاملة ومتصلة،وفهم طبيعة المنظومة القيمية للأسرة وجعلها كمنطلق لمراجعة الكثير من الآليات والبرامج داخل المجتمع.

3 – كما أنّ دارسة القيم في المجتمع يعطي دفعا لتطور مشروع المجتمع باعتبارها ركائزه الأساسية والتي تبنى عليها باقي المنظومات المجتمعية.

أما عن أهدافها فتتمثل في:

1 – الكشف عن طبيعة الأثر الذي تمارسه منظومة القيم في المجتمع الجزائري على العائلة .

2 – قلة البحوث والدراسات بشأن هذا الموضوع على حد علم الباحث.

3 – الحاجة لمثل هذه الدارسات باعتبارها مسألة جديرة بالاهتمام والبحث والدراسة .

ثانيا: أدوات جمع البيانات :لجمع البيانات تم اعتماد:

1 مجموعة من الوثائق و المصادر المهمة التي تناولت موضوع القيم والتغير القيمي للأسرة.

ثالثا: منهج البحث:

إذا كان المعهود أن تكون الدراسات التي تصنف علاجا هي دراسات تحليلية و تقويمية تأتى بعد دراسات وصفية سبقتها ومهدت لها فالحقيقة أن هذه الدراسة نظرا لصغر لحجمها، وضيق وقتها، و مفاجأة مناسبتها فإنها تعتبر رغم أنها تصنف علاجا ...فإنها دراسة نظرية تحليلية تمثل اقتراحا مبدئيا للموضوع .

رابعا: تحديد معاني الألفاظ والمفاهيم المستخدمة:

أ./ تعريف القيمة لغويا:

تعود كلمة قيمة في أصلها اللاتيني إلى الفعل Valeo يعني "أنني قوي" أصبح هذا المعنى يشير إلى فكرة عامة أي أن يكون الإنسان في حالة جيدة، ويكون بالفعل مفيدا أو متكيفا.[1] وفي معجم العلوم الإجتماعية هو إسم هيئة من قام بالشيء كذا ويعني كان ثمنه المقابل له، و إستعمل أيضا بمعنى القدر والمنزلة، ومنه نشأ المعنى الفلسفي لهذه الكلمة، فهو إنتقال من دلالة مادية معروفة في علم الحساب و الإقتصاد إلى دلالة معنوية تعبر عما في الأشياء من خير أو جمال.

ب/. **تعريف القيم إصطلاحا:** تعريف سمير محمد فريد " :إنّ القيم هي عبارة عن مجموعة من المعتقدات التي تمثل المقومات الأساسية أو المحور الذي تبنى عليه مجموعة من الإتجاهات، توجه الأشخاص نحو غايات أو وسائل لتحقيقها، أو أنماط سلوكية يختارها أو يفضلها هؤلاء. الأشخاص لأنهم يؤمنون بمبحثها .فالقيم تتضمن التفصيلات الإنسانية وقد تكون القيم من حالات واقعية و إدراكية توجه السلوك، كما أنها قد تكون مكتبية يتعلمها الفرد من خلال عمليات التطبيع الإجتماعي.[2] وسنحاول من خلال هذا المدخل تسليط الضوء على عدد من المفاهيم الواردة في المداخلة بشكل مختصر بهدف تفادي وجود أي التباس أو غموض.

1. **مفهوم القيم** : مفهوم يدل على مجموعة من التصورات والمفاهيم التى تكون إطاراً للمعايير والأحكام والمثل والمعتقدات والتفضيلات التى تتكون لدى الفرد من خلال تفاعله مع المواقف والخبرات الفردية والاجتماعية، بحيث تمكنه من اختيار أهداف وتوجهات لحياته ويراها جديرة بتوظيف إمكانياته وتتجسد من خلال الاهتمامات أو الاتجاهات أو السلوك العملى أو اللفظى بطريقة مباشرة وغير مباشرة.[3]

2. **مفهوم التغير القيمي:** تعرف القيم بأنها مجموعة الرموز والأفكار الأساسية التي تتولى توجيه سلوك الأفراد من خلال مجموعة المعايير والأعراف والتقاليد المشتقة منها .التي تتميز بخاصتي الثبات والتغير، حيث تتغير القيم نتيجة التفاعل المستمر بين الفرد والبيئة التى يعيش فيها، وهي مرتبطة بحاجات الفرد الأساسية أيضا، وتختلف طريقة التعبير عن هذه الحاجات باختلاف ظروف البيئة، فإذا اختلفت البيئة أو تطورت أصبحت القيمة بذلك تؤدي وظيفة اجتماعية، وتؤدي إلى ظهور قيم جديدة في المجتمع. وبذلك ترتبط القيم بالتغير الاجتماعي، وبعلاقتها بالبناء، ويتضح ذلك من

خلال إبراز دور القيم في التغير، أو مقاومتها له، فعلاقة القيم بالتغير كما يراها بعض الباحثين بمثابة استجابة للعلاقة بين نسق القيم والمشكلات الاجتماعية، حيث يشير" هوارد بيكر .H Becker " في كتابه" من القيم إلى التفسير السوسيولوجي " إلى أن نمطي المجتمع المقدس، والعلماني يعكسان بدورهما نمطين من القيم احدهما محافظ والثاني متحرر، ويؤثران بدورهما في التغير الاجتماعي .[4] ويشير"ولبرت مور " W. Moore إلى أن القيم وتغييرها شرط ضروري من شروط التحول والتغير الاجتماعي، فإن القيم من بين الظواهر الاجتماعية التي قد تعوق التغير أو تساعد في حدوثه بما يساير المتطلبات الاجتماعية في المجتمع، وبذلك يشير مفهوم التغير القيمي إلى التغيرات التي قد تطرأ على منظومة القيم الدينية والثقافية بفعل عوامل اجتماعية وثقافية واقتصادية وطبيعية، سواء كانت درجة ذلك التغير عميقا أو سطحيا، سريعا أو بطيئا شاملا للمجتمع، أو ينحصر ضمن نطاق المجتمع الجزائري على النحو الذي تأخذ به هذه الدراسة.

3. **تعريف الأسرة:** تعرف الأسرة بأنها" مؤسسة اجتماعية تضم زوجين وأطفالهما وبعض ذويهما أحيانا يعيشون عيشة مشتركة واحدة ويتفاعلون معا وفقا لأدوار اجتماعية محددة ويتعاونون اقتصاديا ويحملون نمطا ثقافيا واحدا وعاما يتميزون به ويقومون بتطويره والمحافظة عليه".[5]

وتعرف بأنها" منتوج اجتماعي يعكس صورة المجتمع الذي توجد فيه، والذي تتطور من خلاله، فإذا اتصف المجتمع بالثبات اتصفت الأسرة بالثبات، وإذا اتصف بالحراك والتطور تغيرت الأسرة بتغير هذا المجتمع.[6] ولأن المجتمع الجزائري شهد تغيرات كثيرة عبر صيرورته التاريخية بدءًا بالفترة الاستعمارية إلى ما بعد الاستقلال حيث شهد تحولات وتغيرات سريعة مست مختلف الميادين الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والثقافية،كان لها الأثر الواضح على الأسرة الجزائرية حيث شهدت بدورها تغيرات من حيث حجمها، بناءها، وظائفها وشكلها "ففي كل مرحلة هناك أنماط معينة من العائلة، فالمجتمع والأسرة هما نتاج القوى الاجتماعية الاقتصادية والثقافية بدون أن تكون الواحدة منها نتيجة للأخرى...فمعرفة التطور التاريخي للأسرة ضروري لفهم وضعها الحالي.[7] ما يعني أنّ التغيرات التي يشهدها البناء الأسري لها امتداداتها التاريخية المسئولة عن حدوث هذا التغيير.

خامسا: مدخل من منظور مفاهيمي للقيم :

تعددت وجهات النظر بشأن القيمة على الرغم من التطورات الكثيرة التى طرأت على هذا الميدان المعرفى، ويرجع إلى عدم وضوحه من ناحية وتعدد مجالات القيم من الناحية الأخرى، بالإضافة إلى اختلاف الاعتبارات الأيديولوجية والمدارس الفلسفية لدى المفكرين والعلماء والفلاسفة .

1.5.فهناك من ينظر للقيم من منظور فلسفى : فهناك المثاليون الذين ينظرون للقيم على أنها مطلقة وثابتة لا تتغير بتغير الزمان والمكان، مصدرها عالم المثل، وهناك الواقعيون والبراجماتيون والوجوديون الذين ينظرون للقيم على أنها تعتمد على خبرة الإنسان وذكائه وتجاربه الحياتية، ولذلك فهى نسبية تتغير بتغير الزمان والمكان والمواقف التى يتعرض لها، وتقاس أهمية القيم بمدى نفعها والتنمية التى تعود بها على الإنسان، أما الفلسفة الإسلامية فتوازن بين وجهات النظر السابقة، فتؤكد على وجود قيم مطلقة لا تتغير وهى التى ورد فيها نص صريح ووجود قيم نسبية متغيرة تتعلق بحياة الأفراد.[8]

2.5.وهناك من ينظر إلى مفهوم القيم في الدراسات النفسية والتربوية : يذكر " عطية محمود " إن القيم عبارة عن تنظيمات معقدة لأحكام عقلية وانفعالية معممة نحو الآشخاص والآشياء أو المعاني سواء كان التفضيل الناشئ عن هذه التقديرات المتفاوتة صريحا أو ضمنيا وان من الممكن أن نتصور هذه التقديرات على أساس أنها امتداد يبدأ بالتقبل ويمر بالتوقف وينتهي بالرفض.[9]

3.5. وهناك من ينظر لمفهوم القيم في علم الاقتصاد: يقرر" هرتزلي **Hertzler**" أنّ علماء الاقتصاد وحدهم ينفردون من بين العلماء الاجتماعيين بما أولوه من اهتمام جدير بالذكر بدراسة القيم، ولذلك فهم يعدون بحق رواد دراسة القيم في الميدان الاجتماعي.[10] وتعرف القيم بأنها" أهمية الشيء من حيث الحاجة إليه والرغبة في الحصول عليه،أو نوع النظرة إليه[11].

4.5.وهناك من ينظر للقيم على أنها اعتقاد : المعتقدات التى بمقتضاها يتوجه الإنسان إلى السلوك الذى يرغبه أو يفضله،[12] ويؤكد ذلك (ليموس Lemos) بقوله إن القيم مفاهيم مجردة ومتوافرة فى أفكار ومعتقدات الأفراد كالعدل والإيثار والتعاون والإخلاص والتضحية.[13]

5.5.وهناك من ينظر للقيم على أنها معايير :حيث عرفها"أبو العينين" على أنها "معايير اجتماعية ذات صيغة انفعالية قوية وعامة تتصل من قريب بالمستويات الخلقية التى تقدمها الجماعة، ويمتصها

الفرد من بيئته الاجتماعية الخارجية ويقيم منها موازين يبرر بها أفعاله ويتخذها هادياً ومرشداً، وتنتشر هذه القيم فى حياة الأفراد فتحدد لكل منهم خلانه وأصحابه وأعداءه"[14].

6.5.وهناك من ينظر إلى مفهوم القيم في المنظور السوسيولوجي : يعرف محمد سعيد فرح القيم بأنها اهتمام الفرد وميله إلى غيره من الناس فهو يحبهم ويميل إلى مساعدتهم ويجد فى ذلك إشباعاً له وتتمثل هذه القيم فى الخيرية وحب عمل الخير فالفرد الذى يسلك وفق هذا النمط من القيم إنما يقدر زملاءه كهدف أى أنه ينظر إلى غيره على أنهم غايات فى حد غايات وليسوا وسائل لغايات أخرى. ولذلك فإن الأفراد الذين يتميزون بهذه القيمة يتسمون بالعطف والحنان والإيثار والمشاركة الاجتماعية وإنكار الذات وتفضيل المصلحة العامة على المصلحة الخاصة[15].

وعلى هذا يمكن القول بأن القيم من المنظور السوسيولوجى تعكس ما يلى :

– اتجاهات الأفراد نحو الأفكار التى يعتنقوها.– سلوكيات الأفراد فى المواقف المختلفة.

– بدائل الاختيار للأفراد سواء فى المواقف الفعلية أو على مستوى الأفكار.

سادسا: **خصائص القيم**:

1.6. **إنسانية** : لكونها مرتبطة بالإنسان بالأساس وليس بأي كائن آخر غيره ونظرا لكون الظواهر، الإنسانية معقدة وغير محددة فإن مسألة قياسها تبدو صعبة المنال،أن القيمة هو ما **LEWIS**وفي هذا الصدد يرى أحد العلماء الآمريكيين وهو لويس يختبره الإنسان في اختياره للقيمة، بمعنى أن القيمة هو ما يختبره الإنسان ولا يمكن تعريف القيمة دون اختيار الإنسان لها وتبرز الخاصية الإنسانية للقيم في كون أن هذه الآخيرة — القيم — دائما واضحة وجلية في سلوك الإنسان، حيث تساهم في تحديد اتجاه السلوك ورسم مقوماته.[16]

2.6. **ذاتية** :أي أنها خاصة بكل فرد يحس بها بطريقته الخاصة وبشكل متميز عن خرين تبعا للظروف الفردية القائمة بين البشر، والقيم ذاتية مرتبطة بالأشخاص من ذلك أن التفضيلات التي يقوم بها الفرد إزاء الآشياء أو الموضوعات تكون ذات طابع (ذاتي أو شخص ي و بما يتفق الإطار الحضاري الذي يعيش فيه.

3.6. **نسبية** :تمتاز بالثبات النسبي وهي تختلف من فرد لآخر، تبعا لعوامل المكان و الزمان و الثقافة و الجغرافيا و الايديولوجيا .فالقيم مسألة نسبية متغلغلة في الإنسان تنبع منه ومن رغباته، و

الإنسان هو الذي يضفي على الشيء قيمته و من خلال القيم يمكن فهم فعل معين بأن له "معنى "أي أن القيم تشكل أو تصاغ في ألفاظ مطلقة و لكنها تطبق في حدود موقفية خاصة.

4.6. **متغيرة** :أي أنها ليست ثابتة نتيجة التفاعل المستمر بين الفرد و بيئته و تبعا لعوامل الثقافة و التربية و الاجتماع ، و الحراك الاجتماعي الديناميكي ، و الحراك الفيزيقي و يرى منهايم أن تغير القيم يحدث عندما يصبح المجتمع ديناميا، و يظهر صراع القيم عندما تكون جماعتين أو أكثر مختلفتين و حدث بينهما توافق أو سيطرت احد على الآخرى.

5.6. **متعلمة** :أي أنها مكتسبة من خلال البيئة و ليست وراثية، بمعنى آخر يتعلمها الفرد من خلال مؤسسات التنشئة الاجتماعية فالفرد يتعلم في حياته كيف يقوم الآشياء و كيف يصدر الآحكام على الآعمال، و السلوك، و هو يتأثر بمعايير خاصة تتبناها الجماعة التي ينتمي إليها.

6.6. **معيارية** :بمعنى أن القيم تعتبر بمثابة معيار لإصدار الآحكام تقيس وتقيم وتفسر وتعلل من خلالها السلوك الإنساني.[17]

سابعا: تصنيف القيم :

لابد أن نشير أنّ القيم هي قيم شاملة لجميع نواحي الحياة الخاصة والعامة وهي تمتاز بقوتها وتأثيرها، والقيم قديمة قدم الإسلام وباقية ببقائه".و إذا تعمقنا نجد أن القيم هي مجموعة الأخلاق التي تصنع نسيج الشخصية الإسلامية وتجعلها متكاملة قادرة على التفاعل الحي مع المجتمع وعلى التوافق مع أعضائه وعلى العمل من أجل النفس والأسرة والعقيدة، والقيم في مجموعها نوعان:[18].

1.7. **القيم السلبية**:أو قيم التخلي :وتتجلى في هجر ما نهى الله عنه من شرور وموبقات كشرب الخمر والزنى والكذب والسرقة..إلى أخره.

2.7.**القيم الإيجابية** :وهي القيم التي كلف المسلم بالتحلي بها وأخذ نفسه بمقتضياتها مثل:الصدق، والأمانة، و الرحمة، وصلة الرحم، والكرم، وحسن الجوار. والمسلم مطالب بالنوعين معا..مطالب بترك ما نهى الله عنه، ومطالب بفعل ما أمر الله به، قال تعالى ":وَمَا آتاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذوهُ وَمَا نَهَاكمْ عَنْهُ فانتَهُوا وَاتَّقوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ ٱلعِقابِ..."[19]. وهناك من يصنف القيم في فئتين :القيم الدينية المستمدة من النهج الإلهي والقيم الثقافية المستمدة من علم الإنسان المحدود.[20]. ويرى البعض،"أن القيم الدينية شاملة لجميع القيم ، والإلمام بها يؤدي للإلمام بالقيم الأخرى، لأن الإنسان

المتمسك بالقيم الدينية يمكنه أن يؤدي ما كلف به تجاه خالقه، وتجاه نفسه، وتجاه مجتمعه.[21] لذلك يمكن تصنيف القيم إلى ثلاثة محاور رئيسية على النحو التالي:

3.7.قيم تنظم علاقة الإنسان بخالقه :وتتمثل في الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الأخر، وبالقدر خيره وشره، وبمحبته والرجوع إليه، والتوبة له، والخشية منه، والمشاركة، والتوجه إليه بالعبادة الخالصة.

3.7.قيم تنظم علاقة الإنسان مع نفسه :وتتمثل في الطهارة والنظافة وتحمل المسؤولية، والتعلم

4.7.قيم تنظم علاقة الإنسان بغيره : وتتمثل في قيم الأخوة، والإيثار، والتعاون والتضحية، وحسن الخلق، والرحمة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. ومما تجدر الإشارة إليه أنَّ أيً من هذه القيم مطلوب في كل الأبعاد الثلاثة فإذا أخذنا على سبيل المثال العبادة فإنّها تنظم العلاقة بين الإنسان وخالقه وفي نفس الوقت تنظم العلاقة بين الإنسان ونفسه كما أنّ انعكاساتها وآثارها تنظم العلاقة بين الإنسان والآخرين. ويصنف الباحثان القيم إلى:

أ –قيم عقدية تشمل في هذه الدراسة :الإيمان بالله وهو أساس جميع القيم والإيمان بالله يستلزم الإيمان بالملائكة، والكتب، والرسل، واليوم الآخر والقضاء والقدر خيره وشره، ولا يكتمل إيمان المرء إلا بحب الرسول (صلى الله عليه وسلم).

ب –قيم تعبدية وتشمل :الصلاة والزكاة والصوم والحج، وفي هذه الدراسة تشمل العبادة :الصلاة في وقتها وفي المسجد ، والصيام التطوعي والصدقة، وحفظ القرآن وترتيله.

ج –قيم تتعلق بذات الإنسان وبعلاقته مع الآخرين وهي تقوم أساسا على الإيمان بالله وتشمل في هذه الدراسة :العلم، والنظافة، الصبر، الأمانة، التعاون، الصدق الأخوه، الطاعة.والقيم هي سلسلة مترابطة أولها الإيمان بالله فإذا تحقق الإيمان بالله فإن القيم الأخرى تأتي تبعا.

5.7.أهمية القيم:

للقيم أهمية بالغة في حياة الفرد والمجتمع لأنها تمثل ركنا أساسيا في تكوين العلاقات بين الأفراد، وتسهم بشكل فعال في تحديد طبيعة التفاعل بينهم، إضافة إلى أنها تشكل معايير وأهدافا تنظم سلوك الجماعة وتوجهه، كما أنها للفرد بمثابة دوافع محركة لسلوكه ومحددة لهذا السلوك، وأنها من

الأبعاد المكونة لشخصيته فهي تؤدي دورا فعالا في تكامل الشخصية المسلمة وتصل بها إلى كل تقدم ورقي.[22]. وقد ذكرها ماجد زكي الجلاد.[23]

ثامنا: أهم القضايا التي توضح أهمية القيم للفرد والعائلة والمجتمع.

8-2-1 أهمية القيم للفرد تتضح أهمية القيم للفرد في القضايا الرئيسية الآتية:

1- القيم جوهر الكينونة الإنسانية:تضرب القيم جذورها في النفس البشرية لتمتد إلى جوهرها وخفاياها وأسرارها، وهي تشكل ركنا أساسيا في بناء الإنسان وتكوينه...فبالقيم يصير الإنسان إنسانا وبدونها يفقد إنسانيته ويرد إلى أسفل سافلين، ويصبح كائنا حيوانيا بهيما تسيطر عليه الأهواء وتقوده الشهوات، فينحط إلى مرتبة يفقد فيها عنصر تميزه الإنساني الذي وهبه الله له.

2- القيم تحدد مسارات الفرد وسلوكياته في الحياة :ينبع السلوك الإنساني من القيم التي تنشأ بدورها عن التصور والمعتقد والفكر، فتفكير الإنسان في الأشياء والمواقف التي تدور حوله وبناء تصوراته عنها هو الذي يحدد منظومته القيمية ومن ثم تصدر أنماط السلوك وفق هذه المنظومة . وبناءا على ذلك تأتي أهمية القيم كمنظمات لسلوك الأفراد فيما ينبغي فعله والتحلي به، وفيما ينبغي تركه والابتعاد عنه.

3- القيم حماية للفرد من الانحراف والانجرار وراء شهوات النفس وغرائزها:تعتبر القيم كالسياج الذي يحفظ الإنسان من الانحراف النفسي والجسدي والاجتماعي، وبدون هذا السياج يكون الإنسان عبدا لغرائزه، وأهوائه، وشهواته التي لا تقوده إلا للدمار والفناء، وعندما تضعف قيم الفضيلة في النفس تسيطر الرغبة والغريزة وتظهر كأنها سيدة المكان والزمان، فتجرف الإنسان في تياراتها المتضاربة فلا يدري في أي مكان هلك.

4- تزود القيم الإنسان بالطاقات الفاعلة في الحياة وتبعده عن السلبي :القيم تحدد لك أهدافك في الحياة، ومنطلقاتك إليها، وهي التي تشعرك بالنجاح والإنجاز والتقدم، وتبعث في نفسك السعادة الحقيقية الكامنة وتبعد عنك التعاسة والفشل وهي التي تعزز ثقتك بنفسك وتقديرك واحترامك لها.

2.2.8.أهمية القيم للمجتمع: تتضح أهمية القيم للمجتمع في النقاط الرئيسية الآتية.

1- القيم تحفظ للمجتمع بقاؤه واستمراريته :تشهد الحقيقة التاريخية أن قوة المجتمعات وضعفها لا تتحدد بالمعايير المادية وحدها، بل بقاءها ووجودها واستمراريتها مرهون بما تمثله من معايير قيمية وخلقية، فهي الأسس والموجهات السلوكية التي يبنى عليها تقدم المجتمعات ورقيها، والتي في إطارها يتم تحديد المسارات الحضارية والإنسانية، ورسم معالم التطور والتمدن البشري، وفي حالة اختلال الموازين وفقدان البناء القيمي السليم فإن عواقب ذلك لا محالة وخيمة تؤول بالمجتمع إلى الضعف والتفكك والانهيار .

2- القيم تحفظ للمجتمع هويته وتميزه:لأن القيم تشكل محورا رئيسيا من ثقافة المجتمع، وهي الشكل الظاهر البين من هذه الثقافة التي تعكس أنماط السلوك الإنساني الممارس فيه، ونظرا لتغلغل القيم في جوانب الحياة كافة فإن هوية المجتمع تشكل وفقا للمنظومة القيمية السائدة في تفاعلات أفراده الاجتماعية فالمجتمعات تتمايز وتختلف عن بعضها لما تتبناه من أصول ثقافية ومعايير قيمية تشمل نواحي الحياة المختلفة، وتظهر القيم كعلامات فارقة، وشواهد واضحة لتمييز المجتمعات عن بعضها.

3- القيم تحفظ المجتمع من السلوكيات الاجتماعية والأخلاقية الفاسدة : تؤمن القيم للمجتمع حصنا راسخا من السلوكيات والقيم والأخلاق التي تحفظ له سلامته من المظاهر السلوكية الفاسدة، مما يجعله مجتمعا قويا بقيمه ومثله، تسوده قيم الحق والفضيلة والإحسان، وتحارب فيه قيم الشر والفساد فالقيم لها أهمية بالغة تتمثل في -: في ضبط السلوك، والرقابة عليه وهي ضرورية للفرد وللجماعة، فإن فقدت حدث الخلل والانحراف في السلوك كما أن المجتمعات التي تعمل على تنمية وغرس القيم الدينية في نفوس أفرادها عن طريق مؤسساتها، هي مجتمعات تعمل على الازدهار والتطور والرقي وينتج عن ذلك انسجام في الحياة واستقرار في نفوس الأفراد.

9.المقاربة النظرية المفسرة للدراسة نظرية تبدل العائلة والأسرة للبروفيسور روبرت ماكيفر:

يعد عالم الإجتماع الأمريكي روبرت ماكيفر من أبرز من تحدث عن تبدل وتغير الأسرة والعائلة هو من عائلة أمريكية له مؤلفات في حقل اختصاصه منها مؤلفه الموسوم " المجتمع "وقد اهتم بتفسيراته للعلاقات والتفاعلات والسلوك الإجتماعي، وقد ارجعها إلى التعليلات السيكولوجية و

أنه يرجع الحوادث من التفاعلات الإجتماعية إلى أصولها ودوافعها السيكولوجية لهذا يمكن اعتبار روبرت ماكييفر من أعضاء المدرسة السيكولوجية لعلم الاجتماع.[24].

اهتمت نظريته بالتحول الذي يمس العائلة ، والعائلة عنده نوعان:

1.العائلة الممتدة: توجد العائلة الممتدة في المجتمعات الزراعية الريفية وفي المجتمعات المحلية العشائرية والقبلية ،كما أنها تتوفر أيضا في البيئات الإجتماعية العمالية والفلاحية.

2.العائلة النووية: توجد في الأقاليم الصناعية والحضارية المتطورة وتتوفر أيضا في الأوساط المهنية المتوسطة. يشير ماكييفر إلى التبدل الذي طرا على وظائف الأسرة فيقول "بأن العائلة الممتدة كانت تعتمد كليا على نفسها في تقديم الوظائف المهمة لأفرادها والمجتمع الكبير " وهذه الوظائف يقسمها إلى قسمين الوظائف الأساسية التي تتعلق بإنجاب الأطفال وتربيتهم تربية اجتماعية واخلاقية ووطنية، تنظيم العلاقات الجنسية بين أبناء المجتمع ، وتحضير دار سكن لسكن العائلة وتأثيثه بالأثاث اللازمة .أما الوظائف الثانوية فهي الوظائف الإقتصادية كتوزيع الأعمال على أفراد العائلة وتلبية حاجاتهم الإقتصادية، الوظائف الصحية، الوظائف الدينية، الوظائف الترفيهية، والوظائف الثقافية والتربوية . أما العائلة النووية التي ظهرت بعد التصنيع وتحضر المجتمع فإنها تختص بآداء الوظائف الأساسية التي تكلم عنها ماكييفر. الوظائف الثانوية في المجتمع الصناعي المتحضر لا تقوم بها العائلة بل تقوم بها الدولة.وبعد دراسة ماكييفر للفوارق الحضارية والإجتماعية بين العوائل الممتدة والعوائل النووية في كتابه (المجتمع) يقوم بدراسة مفصلة لصفات العائلة المعاصرة ، أي العائلة النووية التي توجد في معظم المجتمعات الصناعية المتحضرة والراقية ومنها أنها عائلة حديثة نسبيا، تدير شؤونها بطريقة ديمقراطية بحتة، مستقلة تماما من الناحية الاقتصادية عن أقاربها كما تهتم العائلة الحديثة بتحديد النسل الذي يتفق عليه مقدما الزوجان.

تقييم النظرية : مع ظهور الإسهامات السوسيولوجية المفسرة للعائلة وقضاياها تعددت معها الأطروحات النظرية التي حاولت فهم مشكلات العائلة خصوصا الممتدة منها .ومع ظهور العديد من التغيرات السوسيوثقافية والإقتصادية والتي أثرت بشكل أو بآخر على تركيبة العائلة وبنيتها، كان لزاما على الإنثروبولوجيين والإجتماعيين أن يفسروا قضايا العائلة وتغيراتها حسب ظروفها ومراحل تحوّلها من منطقة جغرافية لأخرى ومن جيل لآخر .وفي هذه الدراسة اعتمدنا على **المقاربة**

النظرية للدراسة وهي نظرية " **تبدل وتحول العائلة لروبرت ماكيفر**" البروفيسور روبرت ماكيفر عالم اجتماع امريكي اشتهر بكتابه " المجتمع "قدم مجموعة من التفسيرات والتحليلات لظاهرة تحول وتبدل العائلة البشرية، وقد ركز في العديد من بحوثه وإسهاماته على تحول العائلة من ممتدة إلى نووية .كما تطرقت هذه النظرية إلى إيجاد تعديلات و تفسيرات سوسيولوجية للعلاقات والتفاعلات الإجتماعية ومعرفة الدوافع السيكولوجية وراء تحول العائلة ، ولأن موضوع العائلة عند ماكيفر هو تشريح للعائلة في حد ذاته لتركيبة العائلة والأسرة ووظائفها وعملية تحولها ، وقد أشار ماكيفر في كتابه" المجتمع "بأن العائلة البشرية تنقسم إلى قسمين أساسيين هما العائلة الممتدة والعائلة النووية.[25]. وتتحول العائلة في نظر ماكيفر تاريخيا وبفعل عوامل قد تكون صناعية وقد تكون حضرية وقد تكون بفعل عوامل إقتصادية .ولكون دراستنا الحالية تركز على العديد من المتغيرات منها :متغير القيم، ومتغير شكل العائلة الجزائرية محل الدراسة،و متغير التغير القيمي في العائلة الجزائرية. ومن خلال ما تم عرضه فإن الباحثان في هذه الدراسة يتبنان نظرية" **التحول في العائلة "والأسرة للسوسيولوجي ماكيفر**، حتى نقوم بتشريع انعكاس هذا التحوّل على جوهر العلاقات العائلية (سواء كان زوجة أو أبناء أو زوجات الأبناء أو حتى الأحفاد.) ومنه نتمكن من معرفة أثر المتغيرات سابقة الذكر على تحول الأسرة حتى نستقرأ الأسباب الحقيقية وراء التحول والتدهور الذي حدث للأسرة والعائلة في المجتمع الجزائري.

10.التغير القيمي في المجتمع الجزائري:

إنّ المجتمع الجزائري وعلى غرار كافة المجتمعات مر بالعديد من المراحل، وعرف الكثير من التغيرات في مختلف المجالات والبناءات انطلاقا من البناء الاقتصادي والاجتماعي والسياسي ي وحتى الثقافي، وأثرت كل هذه التغيرات بدورها على منظومة القيم في المجتمع الجزائري، ويتجلى هذا من خلال ما نلاحظه اليوم من غياب بعض القيم التقليدية وظهور قيم غربية غريبة عن المجتمع الجزائري لا تمت بصلة لانتماءاته أو ثقافته .وتتجلى أهم التغيرات التي حدثت في هذا المجتمع وأثرت في منظومة القيم بالأخذ بالسياق السوسيو – تاريخي الذي أكد عليه" كارل مانهايم "في دراسة الظاهرة الاجتماعية وهذا باعتبار القيم ظاهرة اجتماعية فيما يلي:

– بما أنّ الأسرة هي أهم مؤسسة في المجتمع والخلية الأساسية في بنائه يجب التركيز عليها وعلى أهم التغيرات التي مست هذه الآخيرة وأثرت بدورها على منظومة القيم، حيث أن العائلة الجزائرية عرفت العديد من التغيرات على مستوى الحجم والشكل فانتقلت من العائلة الممتدة التي تضم الأجداد والآباء والأعمام والعمات و غيرها إلى عائلة تضم الوالدين والآبناء فقط، وظهرت لدى الآبناء مجموعة من الآراء والقيم تختلف عن تلك التي حصل عليها الآباء والأبناء .في ظل هذه الظروف، وهذا ما أحدث تغيرا في نموذج العلاقة بين بين الآباء والأبناء، وانتقلت هذه العائلات إلى العيش في بيت مستقل كل فرد في هذا البيت يستقل بدوره بغرفة خاصة وتلفاز خاص وحاسوب خاص في بعض العائلات .هذا معناه أن كل شخص أو فرد داخل هذه العائلة له عالمه الخاص أي أنه لا يوجد تواصل أو تفاعل بين الأفراد، فانتشرت داخل العائلة النزعة الفردانية وحب الذات وتراجعت قيم أخرى كاحترام الكبار، ولعل ما يمكن ملاحظته داخل الآسرة الجزائرية أيضا تراجع سلطة الوالدين داخل الآسرة خاصة سلطة الآب ويمكن إرجاع هذا الآمر إلى خروج المرأة للعمل وتقاسمها مع الرجل الكثير من الوظائف التي كانت مخصصة له كالوظيفة الاقتصادية، هذا الآمر أخرج المرأة من تحت مسؤولية الرجل وأكسبها نوعا من الاستقلالية ما أثر بدوره على عملية التنشئة الاجتماعية.

إن القوانين الوضعية أيضا تأثرت بالتغير الذي حدث على مستوى الأسرة من أجل مواكبته حتى لا تحدث مشاكل في المستقبل، فنلاحظ أن الحكومة الجزائرية تعدل وتغير في قانون الآسرة من فترة إلى أخرى، من ناحية تنظيم العلاقة بين الزوج والزوجة وقوانين الزواج وغيرها من الآمور، لكن الآمر الغالب هو أن كل التغييرات كانت تصب في التوسيع من دائرة حرية المرأة، هذا الأمر الذي انعكس سلبا على الكثير من العلاقات الاجتماعية خاصة الزواج فانتشرت ظاهرة الطلاق بشكل رهيب لأنها في ارتفاع مستمر وصلت إلى أكثر من 61 ألف حالة طلاق في السنة الواحدة،

وأيضا انتشرت ظاهرة الخلع التي لم تكن منتشرة بكثرة من قبل في مجتمع مثل المجتمع الجزائري.

1.10.بعض نماذج التغيرات القيمية التي عرفتها العائلة في المجتمع الجزائري:

يجب أن نعترف أنه يصعب من الناحية المنهجية الوقوف عند مجمل التحولات التي ميزت بلدنا اليوم، وذلك ما يقتضي عملا أكاديميا يتجاوز حدود هذه الورقة العلمية. إذ أن رصد هذه التغيرات،

لا يمكن في نظرنا أن يكون ممنهجا، إلا بالاعتماد على مقاربات ومداخل علمية متعددة ومتنوعة لفك إشكالياته ، وبشكل خاص، الإعتماد على المقاربة السوسيوتاريخية، لأنها في نظرنا المتواضع تشكل أهم المداخل لقراءة الوضع الراهن لهذه التغيرات.إلا أنه بالرغم من هذا الإقتراب المنهجي، فإننا نعتقد، أن المجتمع الجزائري عامة والعائلة على وجه الخصوص عرفت كغيرها من المجتمعات والعائلات تحولات عميقة ودالة في مجال القيم، ولا نقول بأن هذه التغيرات قد قطعت مع ما كان سائدا في الماضي، بل إن ذلك يرتبط بسلسلة من التعقيدات والتداخلات،، والموضوعي والذاتي والسوسيولوجي والسيوتاريخي وتتداخل فيها العوامل الداخلية بالخارجية ومن بين الفرضيات التي طرحت مؤخرا لتفسير هذه التغيرات، والتي لا زالت تحتاج لكثير من التدقيق، نجد النموذج الذي قدمه الباحث "بلكبير،2012"، حيث تحدث عن أربعة مداخل يمكن أن تشكل جوابا مؤقتا عن طبيعة هذه التغيرات:

أولا: هناك قيم كانت سائدة ومازالت سائدة في المجتمع، لكن شكلها تغير. ثانيا: بروز قيم جديدة عوضت قيما قديمة. ثالثا: موت قيم قديمة دون أن يتم تعويضها بقيم أخرى جديدة، رابعا: ظهور قيم جديدة لم تكن معروفة. فعلى سبيل المثال إذا أخذنا النموذج الأول:

1.4.نجد أن قيم التضامن: كانت قيمة سائدة في الأسرة والمجتمع الجزائري ولازالت سائدة، لكن الذي تغير هو شكلها، ففي السابق كانت هذه القيمة تتم بطريقة ميكانيكية وعفوية وفي مستويات محلية (بين الجيران، داخل الحي، في المسجد، في القرية...)، إلا أنه مع التحولات المجتمعية، بدأت تظهر بجانبها أشكال من التضامن الجديدة، تتماشى مع قيم العالم الحديث، كالتضامن عن طريق جمعيات المجتمع المدني، وخصوصا تلك الجمعيات التي بدأت تطور أساليب جمع التبرعات وتوزيعها في مناطق جد فقيرة بالجزائر، ويتم ذلك عن طريق تنظيم رحلات سياحية للمتطوعين والمتضامنين، ويلتقون بالناس ويتم ذلك بشكل يعيد الإعتبار للحس الإنساني التضامني في مجتمع متحول.الجانب الثاني في هذا النموذج، قد تكون هناك قيم ماضية لكنها تموت لتحل محلها قيم جديدة، تعبر عن حالة تفاعل قوي مع مختلف العوامل التي تطرأ على المجتمع الجزائري، من ذلك:

2.4.مثلا القيم الجماعية : ونقصد بذلك أن الأفراد لم يكن لهم في السابق مجالات للتعبير عن ذواتهم إلا من خلال أداة "نا" الجماعية" سواء داخل الأسرة، (العائلة) أو في الحي، أو في القرية،

أو حتى داخل الفضاءات العمومية، ويمكن التعبير عن هذه الحالة في لحظات الاستحقاقات الإنتخابية، في ستينيات وسبعينيات وثمانينيات القرن الماضي، بحكم عوامل ازدياد وثيرة التعليم واستفادة فئات واسعة من المجتمع الجزائري من خدماته، وكونية القيم الديمقراطية، والتدفق الإعلامي الهائل واللامحدود، وغيرها من العوامل، ساهمت في بروز ملمح جديد في المجتمع الجزائري، وهو ميلاد الفرد بما يعنيه ذلك من بروز ثقافة جديدة تعبر عن ذاتها من خلال اتخاذ المواقف والقرارات والاستقلالية وتحمل المسؤولية، ولا يفهم من ذلك أننا نتحدث عن بروز الفردانية كقيمة سلبية تهدد تماسك اندماج العائلة داخل المجتمع، بل إننا نتحدث عن قيم جديدة سماها عالم الاجتماع "آلان تورين" عودة الذات" وهذا المفهوم ، يرتبط أولا وأخيرا، بوعي شمولي، وهذا ما يظهر حين نرى الأفكار المقدمة هنا مبثوثة في اللغة المتداولة، والصحافة الشعبية وعلى شاشات التلفزيون التي تغير بدورها رغبات أكبر عدد من الناس. هذا الانقلاب الثقافي تحمل رايته النساء، بنوع خاص، لأنه لا يمكن فصله عن انهيار السيطرة الذكورية وبروز ثقافة جديدة تتحرر من التبعية الذكورية[26]

3.4.موت قيم كانت معروفة في السابق: دون أن يتم تعويضها بقيم جديدة، كقيم الطاعة مثلا التي كانت سائدة في العائلة الجزائرية، والتي أصبحت متلاشية إن لم نجازف بالقول، إنها بدأت تنعدم، وهو ما يمكن أن نصفه بالفصل بدل الوصل، فصل قيم بدون تعويضها بقيم أخرى، قد يعترض علينا البعض، بأن قيمة الطاعة حلت محلها قيمة الحوار، وهذا الاعتراض وجيه، من حيث، أنه يحيلنا على تحول في نسقية القيم، لكن الذي يجب أن ننتبه إليه، هو أن قيمة الحوار، أصبحت تعني التمرد، وأصبحت تعني فرض قيم جديدة على الآباء، وهو ما توصل إليه العديد من الباحثين في حقل السوسيولوجيا ، عندما اعتبروا أن إلغاء قيم الطاعة في العائلة أو المدرسة، يعني فقدان السلطة وفقدان مصدر التوجيه، وذلك بدعوى عدم فرض الأفكار والقيم على الأطفال وعدم تعليمهم القيم التقليدية والمتوارثة وترك الحرية لهم ليختاروا ما يشاؤون، وهذه الدعوى إنما تستلهم بوعي أو بغير وعي .وقد برزت بأوضح صورها ضد كل مقومات العائلة (الأسرة) والفطرة واحترام الطبيعة البشرية، والدعوة للمساواة التامة، ورفض الإنجاب ورفض طاعة الزوج وما إلى ذلك. ونحن لا ندعي بأن المجتمع الجزائري بدأ يتماهى كليا مع قيم التحرر والتمرد، لكن الذي نريد التأكيد

عليه، هو أنه وقع تحول عميق في نسقية القيم وتم استبدال قيم قديمة بقيم جديدة، ومنها قيمة الطاعة العمياء التي كانت سائدة في الأجيال السابقة.

4.4.بروز قيم لم تكن معروفة في السابق، كقيم الاستهلاك المفرطة: والتي تختلف عن الاستهلاك الذي كان سائدا في الماضي، فقد أصبح الاستهلاك بدون هدف وبدون معنى، فإذا كان في السابق، محددا بغاية وبهدف ، فإنه حاليا، في ظل التدفق الكثيف لوسائل الإعلام وللإشهار الزائد عن الحد، أصبحت قيم الاستهلاك "نمط في الحياة" فالإنسان الجزائري (طبعا بدون أن نعمم)، أصبح يلهث وراء المال، ووراء البحث عن الطريف والجديد والصارخ والمتفرد، فبدأ ينغمس في العوالم الإفتراضية الوهمية بحثا عن التسلية الواهية، فيحصل له التبدد ثم الضياع.[27]

ورغم أن الباحثان يتحدثان عن قيم العالم الغربي ما بعد الحداثي، فإننا نعتقد، أن هذه القيم بحكم طابعها العولمي، أصبحت تغزو كل المجتمعات والأفراد والخصوصيات، بل إننا نعاين أن هذه القيم الجديدة، والتي تسللت لنا من خلال العوالم الإفتراضية، التي فتحت أعين الجزائريين، حتى وسط الفئات الفقيرة، على مظاهر الترف . ومن يعاين كيف أصبحت ثقافة الجيل الحالي، خصوصا في مظاهر اللباس والماكياج، ، يفهم أحد المعاني التي تحدثنا عنها،وقد لا يحقق الأفراد، خصوصا المعدمون منهم إشباعا في هذه القيم الإستهلاكية، مما يخلق لهم انفصامات وتوترات وانكسارات عميقة المدى، مما يجعلهم أحيانا يستعيضون عنها بالدخول في دوامة العنف، أو السرقة، أو بيع أجسادهن،أو الارتماء في عالم المخدرات، والمتابعة لمباريات كرة القدم، وفي بعض الأحيان الوصول إلى حد الإنتحار أو التفكير في الإنتحار... أو حتى في الدخول في حالات من "الباتولوجيا" (المرضية).**و نعتقد أننا لم نأت على ذكر بعض التغيرات التي طرأت على العائلة في المجتمع الجزائري،** فقد اكتفينا برصد بعض مظاهرها فقط ، وللاشارة فهذه التغيرات ليست كلها سلبية كما قد يتبادر للذهن، وبالطبع نحن متيقنون أن هناك مظاهر من التغير أكثر تعبيرا، ويبقى السؤال المطروح: ما هو سر هذه التغيرات التي حدثت في كيان المجتمع الجزائري؟ وما هو دور العلوم الاجتماعية في فهم وتفسير مختلف هذه التغيرات سواء في ثباتها أو في استمرارية بعضها..

2.10.تفسير عوامل التغير القيمي بالعائلة الجزائرية:

لا يمكن الإدعاء بأننا سنقدم جوابا شافيا عن العوامل التي تفسر التغير القيمي داخل العائلة في المجتمع الجزائري، فهذا من باب المجازفة المنهجية التي لا يقول بها عاقل، لكننا في حدود هذه المداخلة المتواضعة، والتي لا نستهدف منها سوى فتح النقاش العمومي في مثل هذه القضايا الشائكة، ورغبة في فتح شهية الباحثين لاستكشاف جوانب المجهول في الموضوع.

1) تأثير القيم العولمية على الفئات العائلة والجماعات والأفراد: وقد كان لهذه المسارات المعولمة، آثار قيمية، من حيث كونها، مزقت الحدود بين البلدان، بل إن مفهوم الزمان والمكان، تلاشى في ضوء الثورة التكنولوجية، وقد كان ذلك بارزا في ظهور ثقافات جديدة واكتشاف رموز حديثة للهوية، فثقافة السوق خلقت فجوات بين جيل الآباء والجيل الحالي، وهنا يمكننا أن نتحدث عن كيف كان يتمثل القيم الجيل السابق، أقصد جيل الخمسينيات والستينيات ، منظومة القيم، والتي كانت تتسم بنوع من الصبر والنضال والاجتهاد والتحمل والانتظار والقناعة والطاعة حتى حد الخنوع والاستسلام أحيانا. بالمقابل، فإن قيم الجيل الحالي، وبفعل العولمة الإقتصادية والثقافية وفي ظل تزايد وتسارع وثائر التغير، وخلق النماذج الجديدة، فإن الجيل الحالي غدا موسوما "بثقافة الاستعجال وتعجل المطالب وارتفاع الحاجات المادية" وبدأنا نعاين ميلاد ثقافة جديدة عنوانها العريض التحرر الشخصي والتحرر الاجتماعي.

2) التوجهات الديمقراطية الجديدة، خلقت ثقافة حقوق الإنسان، وتقدير الذات: وقد هيمنت هذه الثقافة بشكل جعلها تمثل سنفونيا جديدة تعزفها الفئات الشابة والنساء، خصوصا مع تعاظم الدعوات للخروج من السلطوية وتحقيق الدمقراطية في الحياة العامة والخاصة. والملاحظ أننا ما زلنا في مرحلة انتقالية تتطلب الكثير من العمل والاجتهاد قصد ترسيخ ثقافة وقيم الديمقراطية، لكن الذي نقصد أن هذه الموجة الجديدة، خلقت وعيا شقيا، حيث ترسخت في الأذهان ثقافة الحقوق بدل ثقافة الواجبات، مما يعني أن الجيل الحالي نشأ في أجواء نسبيا متحررة مما عاشه الجيل السابق، وقد كان لذلك مظاهر التعبير عن الهويات والثقافات الإثنية والعرقية والدينية بشكل جلي، ونحن عندما نتحدث عن هذه التوجهات، إنما لنربطها بتغير القيم والعامل الفاعل فيها والمتدخل في تغير توجهات الأفراد اتجاه قيم واستبدالها بقيم الذات، وبروز الفاعل الإجتماعي كفاعل محوري في بنية العائلة والمجتمع الجزائري.

3) تراجع دور المؤسسات التقليدية وانهيار السلطة: كسلطة الزوايا والمساجد والمدارس والعائلات في إنتاج وإعادة إنتاج القيم المجتمعية، والحفاظ على استمراريتها، ففي ظل التغيرات الآنفة الذكر، وجدت هذه المؤسسات نفسها غير مستوعبة للكثير من التعقيدات التي طرأت على المشهد العالمي وعلى منظومة القيم وعلى مصادر هذه المنظومة، وكيف أصبحت تتسرب إلى مخيال ووجدان الأفرد وتحدث نماذج للسلوك بعيدة عن دور المؤسسات التقليدية، وعلى العموم فإن هذه الظاهرة ليست خاصة بالمجتمع الجزائري، بل هي عامة في كل المجتمعات البشرية، فقد تحدث "إيرك هوبزباوم.[28] "عندما تحدث عن تهاوي المؤسسات الاجتماعية في إنتاج وإعادة إنتاج القيم المجتمعية بسبب التصدعات التي تعرضت لها هذه المؤسسات". ورغم أن الحالة الجزائرية لا زالت تمثل نوعا من الاستقرار في أداء وظيفة الأسرة كمؤسسة من بين المؤسسات السابقة الذكر، لكنها تعاني هي الأخرى من تصدعات، لان عمق التغيرات التي مست بنيتها (خروج المرأة للعمل، والضغوط اليومية التي تتعرض لها كل الأسرة، بدا يعمق حالة التوتر والحيرة والقلق، وما اللجوء القوي للاستشارات السيكولوجية عبر الأمواج الإذاعية الخاصة والعامة، إلا مؤشر على ما ندعيه).

4) العامل الديني: إذا كانت العوامل السابقة التي أتينا على ذكرها تمثل في نظرنا المتواضع أحد المداخل الممكنة لفهم عمق التغيرات في المجتمع الجزائري، فإن العامل الديني، يعتبر مدخلا حيويا في فهم الخريطة التمثلية عند مجمل فئاته، فقد استمر هذا العامل في تأدية وظائفه، وإن كان بقنوات جديدة ليست هي المؤسسات التقليدية، بل إنها تقع في مؤسسات دعوية وقنوات فضائية ونخب شابة، ساهمت في رفد القيم داخل العائلة وتقديم نماذج من السلوكات والمواقف والتوجهات التي عملت على مواجهة آثار العولمة الجارفة وأيضا على مواجهة الانكسارات التي تعرض لها المخيال الجماعي، ولاشك أن هذه العوامل تحتاج، إلى مزيد من التفصيل والتوسع، ولكننا أحببنا أن نقدم عرضا توصيفا لبعض التغيرات التي عرفتها منظومة القيم داخل العائلة الجزائرية، وبعض عوامل التفسير، مؤكدين على طابعها النسبي والمختزل أحيانا، والغاية من وراء ذلك هو فتح جسور التواصل مع الباحثين والمختصين قصد توجيه النقد والملاحظات لعلها تساعد في تجلية ما خفي عنا أو ما أهملناه في تحليلنا. وخلاصة القول أن العائلة الجزائرية عرفت تغيرات واسعة وعميقة وبما أن هذه الخلية الأساسية عرفت كل هذه التغيرات فإنها أثرت على كل المستويات والعمليات الآخرى من

تنشئة اجتماعية وعلاقات بين الآفراد.ضف لها ظاهرة النزوح الريفي التي عرفها المجتمع الجزائري سواء تلك التي عقبت الاستقلال بحثا عن العمل والسكن، أو تلك التي تزامنت مع العشرية السوداء بحثا عن الآمن والاستقرار كان لها الأثر البالغ على الكثير من المؤسسات الاجتماعية ونجمت عنها العديد من الظواهر السلبية خاصة على غرار البطالة وأزمة السكن وما يعرف بتريف المدن، هذه العملية أثرت كذلك على القيم لدى الأفراد النازحين حيث وجدوا قيما ومعايير تختلف عن تلك التي كانت موجودة في الآرياف فحدث عندهم نوع من الصراع بين القيم التي نشئوا عليها والقيم التي تنتشر في المجتمع الذي يعيشون فيه، هذا ما أثر على سلوكياتهم ودخول البعض منهم إلى عالم الانحراف والجريمة.

خاتمة :

إنّ موضوع القيم من المواضيع السوسيولوجية الهامة، إذ أخذت حيزاً متقدماً في الدراسات الاجتماعية، ومحاولة ربطها دراسةً وتحليلاً بالظواهر الاجتماعية .وما جاءت هذه المداخلة إلا محاولةً بسيطةً لإلقاء الضوء على بعض التغيرات القيمية داخل الأسرة الجزائرية، بغية الكشف عن مدى تأثرها بالقيم التي يتشبع بها الأفراد، من خلال تنشئتهم المستمرة والتي تمثل منطلق سلوكاتهم وتصرفاتهم داخل العائلة، ومعرفة ما إذا كان هناك تأثير تمارسه بعض القيم، باعتبار أنّ موضوع مسألة القيم موضوع متشعب ومتفرع، حيث لا يمكن التحكم في كل القيم و دراستها في بحث واحد، و جل ما توصلت إليه هذه الورقة أنّ للقيم أثرا على العائلية بصفة طردية ، و أنّ لها دورا في الحفاظ على الاستقرار، و لكن يبقى التحكم في موضوع القيم وعزلها عن باقي المفاهيم المشابهة، وتحديد إطار ضيق لها، صعباً بحكم أن أفراد الأسرة لا يمتثلون جميعا لنفس القيم و يصنفونها في نفس الأهمية، فهي خاضعة لتركيبات الأفراد السيكولوجية والثقافية وخلفياتهم الاجتماعية، و محاولة التعميم قد تفقد الدراسة جانب الموضوعية.

خاتمة:

ومجمل القول أنّ التغيرات التي مست المجتمع الجزائري على العموم والعائلي. على وجه الخصوص كان لها أثرها على القيم المرتبطة بهذه الأخيرة وانتقال العائلة من شكلها الممتد التقليدي

إلى شكلها النووي المعاصر أظهر طبيعة التغيرات وشدتها، لكن يبقى الإشكال قائم في طبيعة تغير القيم وحدتها بحيث أظهرت مختلف الدراسات التي تمت حول الموضوع مجموعة من المفارقات لا تزال قائمة إلى حد الآن، بحيث اعتبرنا أن التغير هو حتمية تمس أي مجتمع فإن بناه مهما كانت ستكون عرضة لهذا التغيير بما فيه البنية العائلية، لكن الظاهر أنّ العائلة العربية عامة والأسرة الجزائرية على وجه الخصوص، كان لها موقف خاص اتجاه هذا التغيير، بحيث صارت تمثل نموذج مميز، نموذج يجمع بين كل ما هو متناقض من قيم تقليدية تظهر من خلال القيم الدينية، التقاليد، العادات..... وقيم أخرى يمكن وصفها بالعصرية والتي ترمز إلى كل ما هو جديد من قيم الحرية، والمساواة، الديمقراطية، الفردانية....فهذه المفارقات وهذا الجمع بين قيم متناقضة في نفس المجال (المجال العائلي) أنتج ظواهر جديدة صارت محور مختلف الدراسات التي تمت حول الموضوع بحيث أنتجت مفاهيم جديدة لم تكن مطروحة من قبل، كصراع القيم، أو صراع الأجيال أو قيم الحداثة وما بعدها مقابل قيم السلف، ولعل الملفت للإنتباه هو تلك المحاولة الدائمة لأفراد العائلة الجمع بين تلك القيم الجديدة والتقليدية، بحيث لم يتمكنوا من ترك قيمهم التقليدية التي يرونها أساسية في حياتهم ولا يمكن الاستغناء عنها ومن جهة أخرى اقتناعهم بأن تبني القيم الجديدة هو أمر لا مفر منه وهذه العملية يظهر أنها تقوم على أساس تكييف الأفراد لقيمهم الجديدة مع قيمهم التقليدية من دون المساس بتوازن حياة العائلة بحيث توضع هذه القيم الجديدة في إطار ما هو تقليدي بمعنى آخر هل هذه القيم الجديدة تتناقض مثلا أو تتنافى مع الجانب الديني أو الجانب الثقافي السائد، ولعل هذه العملية هي التي ساهمت في الإبقاء على القيم التقليدية وديمومتها .

هوامش ومراجع البحث

1. فوزية ذياب:القيم والعادات الاجتماعية، دار النهضة العربية للطباعة (لبنان) ،1980،ص 21.
2. منير حجاب: المعجم الاعلامي، ط1، دار الفجر(د ب)،2004،ص 435

3. على خليل مصطفى :القيم الإسلامية والتربية .دراسة فى طبيعة القيم ومصادرها ودور التربية الإسلامية فى تكوينها وتنميتها،مكتبة إبراهيم حلبى (المدينة المنورة) ،1988،ص34.

4. عبد المجيد محمود سعد: مدخل لدراسة المجتمع، عبد الهادي الجوهري وآخرون،مكتبة نهضة الشروق (القاهرة) ،1988،ص9.

5. عدنان إبراهيم أحمد، الشافعي محمد الهادي: علم الاجتماع التربوي والأنساق الاجتماعية، منشورات جامعة سبأ(ليبيا)، 1998،ص137.

6 . BOUTEFNOUCHET Mustapha; La famille Algérienne évolution et caractéristiques. (Alger)1998 ;p19.

7 . SEGALEM M Martine:Sociologie de la famille. (Paris) ,Armand Colin, ,2ème Edition.1996,p8.

8. عبد الراضى إبراهيم ، "موقع القيم فى بعض فلسفات التربية"، مجلة دراسات تربوية. ط16، القاهرة،عالم الكتب،ص 75.

9. مساعد بن عبد الله المحيا: القيم في المسلسلات التلفازية دراسة تحليلية وصفية لعينة من المسلسلات العربية، دار العاصمة للنشر والتوزيع (الرياض)،1414،ص 39.

10. الطاهر بوشلوش:التحولات الاجتماعية والاقتصادية وآثارها على القيم في المجتمع الجزائري، دراسة ميدانية تحليلية لعينة من الشباب الجامعي. ط1 ،بن مرابط للنشر والطباعة(الجزائر)،2018،ص 3.

11. شاكر مصطفى سليم: قاموس الانتروبولوجيا(انجليزي – عربي)، ط ،1جامعة الكويت، (الكويت)،د ت،ص 11.

12. محمد إبراهيم كاظم:"التطور القيمى وتنمية المجتمعات الريفية"، المجلة الاجتماعية القومية، مجلد 7، ع3، المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية(القاهرة)،1970،ص 11.

13 . Lemos. R. M. The nature of Value, Fl. University Press, Florida, M. S. Ap17.

14. أبو العينين على خليل مصطفى: القيم الإسلامية والتربية ، دراسة فى طبيعة القيم ومصادرها ودور التربية الإسلامية فى تكوينها وتنميتها، (المدينة المنورة)، مكتبة إبراهيم حلبى،1988،ص 84.

15. محمد سعيد فرح: البناء الاجتماعى والشخصية، الهيئة المصرية العامة للكتاب (الإسكندرية)، 1980،ص 396.

16. طاهر بوشلوش:مرجع سبق ذكره،ص 6.

17. محمد سعود السرحان:الصراع القيمي لدى الشباب العربي،منشورات وزارة،الثقافة(عمان)، 1994،ص 31.

18. جابر قحيمة: المدخل إلى القيم الإسلامية، د ط، دار الكتاب اللبناني(بيروت)، 1984،ص 41.

19. قرآن كريم: سورة الحشر، الآية رقم،07.

20.حمد صالح الدعيج،عماد محمد سلامة:أثر العولمة في القيم من وجهة نظر طلبة الجامعة الأردنية وجامعة الكويت. مجلة العلوم الاجتماعية، مجلد ،عدد3 ،مجلس النشر العلمي(جامعة الكويت)، 2007،ص 20.

21. وضحة علي السويدي: تنمية القيم الخاصة بمادة التربية الإسلامية لدى تلميذات المرحلة الإعدادية بدولة قطر، برنامج مقترح،ط1،دار الثقافة،(الدوحة)،1989، ص 79.

22. وضحة السويدي:المرجع نفسه، ص 76.
23. ماجد زكي الجلاد: تعلم القيم وتعليمها تصور نظري وتطبيقي لطرائق واستراتيجيات تدريس القيم، ط1،دار المسيرة للنشر والتوزيع،(عمان)،2005، ص 39.
24. إحسان محمد الحسن: علم اجتماع العائلة، ط1 ، دار وائل للنشر والتوزيع،(د ب)، 2005،ص 70.
25. إحسان محمد الحسن: المرجع نفسه، ص 71.
26. آلان تورين: براديغما جديدة لفهم عالم اليوم، المنظمة العربية للترجمة، ترجمة د،جورج سليمان، (د ب) 2011،ص 380.
27. خالد ميار الإدريسي: نقد قيم ما بعد الحداثة، نحو ترميم الذات الإنسانية، مساهمة وردت في كتاب جماعي.سؤال الأخلاق والقيم في عالمنا المعاصر، الرابطة المحمدية للعلماء، سلسلة ندوات(4)، ت أحمد العبادي، تنسيق، عبد السلام الطويل،(الدار البيضاء)، 2011،ص 232.
28. إيرك هوبزباوم: عصر التطرفات، القرن العشرون الوجيز، 1914. 1991، ترجمة، فائز الصياغ.مؤسسة ترجمان، ط1،المنظمة العربية للترجمة.مركز دراسات الوحدة العربية(بيروت)،2011، ص 267.